

كن هابيل ولا تكن قابيل

<"xml encoding="UTF-8?">



من أَرَادَ أَنْ يَعْيشَ سَعِيدًا وَأَنْ يَمُوتَ حَمِيدًا، فَلْيُلْقِ سِلَاحَ الْعَدَاوَةِ وَلْيَجْتَثِ مِنْ نَفْسِهِ شَجَرَةَ الشَّرِّ ، اِرْفَعْ رَأْيَيْكَ
الْبَيْضَاءَ مُغْلِنَا الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ وَسَوْفَ تَجِدُ الْقُلُوبَ تَشْبَعُكَ ، وَالْأَرْوَاحَ تَحْفَ بِكَ ، وَالْحُبَّ يَخُوطُكَ أَيْنَمَا حَلَلْتَ
وَارْتَحَلْتَ: مَنْ سَالَمَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ – وَنَامَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَان ...

كُنْ مِنْ فَصِيلَةِ هَابِيلَ ، حِينَمَا أَقْدَمَ عَلَى قَتْلِهِ أَخُوهُ قَابِيلَ فَقَالَ: «لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ
إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» ، دَعِ الظَّالِمَ يُلْقِ حَتْفَهُ أَوْ يَسْلُطِ اللَّهُ عَلَيْهِ أَظْلَمَ مِنْهُ ، وَاتْرُكْهُ لِلْأَيَّامِ
وَاللَّيَالِي ، يَقُولُ الْمَثَلُ الصِّبْيَانِي : «اتْرُكْ عَدُوَّكَ وَقِفْ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ ، فَسَوْفَ تُشَاهِدُ جُثَّتَهُ تَمُرُ بِكَ» ، لَا تُحَاوِلْ
فَتْحَ مَلَفَاتِ الْعَدَاوَاتِ ، لَا تَقُمْ لِلنَّاسِ مُحَاكِمَ تَفْتِيشَ فِي صَدْرِكَ ، لَا تُذْهِبِ حَيَاتِكَ الْعَالِيَةَ فِي التَّرَبُّصِ بِالْآخَرِينَ
وَالْإِفْتِصَاصِ مِنْهُمْ ، كُلُّ دَقِيقَةٍ تَصْرِفُهَا فِي عَدَاوَةٍ ، إِنَّمَا هِيَ كَأَسِ مِنَ الشَّمِّ تَتَحَسَّاهُ ، سَوْفَ تَجِدُ أَنَّ الْجِلْمَ وَالْعَفْوَ
أَقْوَى سِلَاحٍ أَمَامَ أَعْدَائِكَ .

قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَصَرَنِي اللَّهُ بِالْحِلْمِ أَعْظَمَ مَنْ نَصَرَ الْعَشِيرَةَ ، يَقُولُ أَبُو الطَّيِّبِ : * وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي
وَأَعْلَمُ أَنَّهُ – مَتَى أَجْزَاهُ جِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمُ . * إِذَا سَلَ أَخُوكَ فِي وَجْهِكَ سَيْفًا ، فَمَدَّ لَهُ وَرْدَةً ، إِذَا بَاتَ يُخَطِّطُ
لِاسْتِصَالِكَ فَتَوَجَّهْ أَنْتَ بِالْإِدْعَاءِ لَهُ أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَيُطَهِّرَ صَمِيمَةَ ، وَإِذَا نَالَكَ خَصَمٌ فِي مَجْلِسٍ بِكَلَامٍ بَذِيءٍ

سَافِلٌ فَاتِنٌ عَلَيْهِ وَادَّعَ لَهُ ، إِنَّ مَنْطِقَ الْقُرْآنِ يُخْبِرُكَ أَنَّ الْعَظَمَةَ هِيَ أَنْ تُحَوَّلَ الْعَدُوُّ إِلَى صَدِيقٍ ، لَا أَنْ تُحَوَّلَ الصَّدِيقُ إِلَى عَدُوٍّ «ادْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» . قَالَ رَجُلٌ لِحَكِيمٍ : عَدَا نَتَحَاسَبُ فَقَالَ لَهُ : بَلْ عَدَا نَتَسَامَحُ ، فَلَا تَسْتَكْثِرُ أَلْفَ صَدِيقٍ وَلَا تَسْتَقِلَّ عَدُوًّا وَاحِدًا وَلَوْ كَانَ ضَعِيفًا ، فَإِنَّ الْبُعُوضَةَ تُذْمِي مُقَلَّةَ الْأَسَدِ ، وَإِنْ فَأَرَا صَغِيرًا خَرَّبَ سَدَ مَأْرَبٍ . إِنْ أَعْمَارُنَا أَقْصَرُ مِنْ أَنْ نُصَرِّفَهَا فِي الْقِصَاصِ وَالْإِنْتِقَامِ ، وَإِنْ مَعَارِكُ دَاحِسٍ وَالْعَبْرَاءُ الَّتِي يُقِيمُهَا الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ الْبَغْضِ ، هِيَ مِنْ مُقَرَّرَاتِ مَدْرَسَةِ إِبْلِيسَ الَّتِي مِنْ أَصُولِهَا : الظَّالِمُ مَهَابٌ وَالْمُعْتَدِي شَجَاعٌ وَالْحَلِيمُ ذَلِيلٌ وَالْمُنْتَسِمُ حَبَانٌ ، وَلَكِنْ مَدْرَسَةُ الْوَحْيِ تُخْبِرُنَا بِأَصْدَقِ مِنْ ذَلِكَ «فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» .

وورد في الحديث عن رسول الله (ص) أنه قال : «صَلِّ مَنْ قَطَعَكَ ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ» ، إِذَا لَقِيتَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فَأَبْدَأْ بِتَصْرِيفِينَ جَمِيلَيْنِ : بِبَسْمَةِ وَسَلَامٍ ، فَالْبَسْمَةُ عُتْوَانٌ لِكِتَابِكَ ، وَهِيَ دَلَالَةٌ عَلَى رَجَاحَةِ الْعَقْلِ وَسَلَامَةِ الطَّبَعِ وَكَرَمِ الْمَعْشَرِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ مِيثَاقُ شَرَفٍ وَعَهْدٌ وَفَاءٌ مَعْنَاهُ مُصَالِحَةٌ لَا حَرْبَ ، وَمُسَامَحَةٌ لَا عَدَاوَةَ . هَلْ سَمِعْتَ أَنَّ غَضُوبًا شَرِسًا حَادًّا كَسَبَ حُبًّا أَوْ بَنَى صَدَاقَةً أَوْ حَازَ ثَنَاءً جَمِيلًا ، إِنَّمَا الْحُبُّ الصَّادِقُ وَالْحَقَاوَةُ الْبَالِغَةُ وَالْإِجْلَالُ الْكَبِيرُ لِلْسَّمْحِ الْحَلِيمِ وَالْجَوَادِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي جَلَسَ بِحُبِّهِ عَلَى عَرْشِ الْقُلُوبِ ، فَحَقَّتْ بِهِ الْأَرْوَاحُ وَشَيَّعَتْهُ النُّفُوسُ ، وَطَوَّقَتْهُ الْعُيُونُ .

مِنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ تَارِيخًا لِنَفْسِهِ مِنَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ فَعَلَيْهِ بِمُسَالَمَةِ النَّاسِ وَمُسَامَحَةِ الْأَخْرَيْنِ وَكُظْمِ الْعَيْظِ وَالتَّجَافِي عَنِ الرِّثَّةِ وَالصَّفْحِ الْجَمِيلِ عَنِ الْخَطَا وَدُفْنِ الْمَعَائِبِ ، فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ السَّوِيُّ أَنْ تَنْزِعَ الْعُدَدَ السَّامَةَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَنْ تَضَعَ السِّلَاحَ مِنْ يَدِكَ ، وَأَنْ تُعَمِّدَ سَيْفَ الْعُدَّوَانِ وَنَادِي فِي الْجَمِينِ الْعَالَمِ سَوْفَ يَكُونُ جَمِيلًا بَلَا عَدَاوَةَ ، وَالْكُونُ سَوْفَ يُصْبِحُ أَمَانًا بَلَا كَرَاهِيَةٍ ، وَالْأَشْرَارُ وَحْدَهُمْ هُمُ الَّذِينَ عَكَّرُوا صَفْوَ الْحَيَاةِ ، وَدَمَّرُوا بِنَاءَ الْإِحْيَاءِ ، وَمَرَّقُوا ثَوْبَ الْمَحَبَّةِ «وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُْمَزَةٍ» ، «هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ» ، وَيْلٌ لِكُلِّ حَاقِدٍ شَرِيرٍ مِنْ سُوءِ الذِّكْرِ وَضَيِّقِ الصَّدْرِ ، وَظُلْمَةِ الْقَبْرِ ، وَبُشْرَى لِكُلِّ كَرِيمٍ مِفْضَالٍ ، وَلِكُلِّ لَيِّنٍ سَهْلٍ رَفِيقٍ ، إِنْ الرَّجُلُ الْفَاضِلُ يَكْتُبُ تَارِيخَهُ بِنَفْسِهِ لِحَمِيلِ سِيرَتِهِ وَحَسَنِ تَعَامُلِهِ ، فَلَا يَنْتَظِرُ شُكْرًا مِنْ أَحَدٍ ، وَسَوْفَ يَكُونُ بَعْدَ مَوْتِهِ قِصَّةَ جَمِيلَةٍ يَتَخَدَّثُ بِهَا الرُّوَاةُ فِي الْمَجَالِسِ ، وَتُنْقَلُ أَخْبَارُهُ الْجَمِيلَةُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَشَرِ ، إِنْ أَلْسِنَةُ الْخَلْقِ أَقْلَامُ الْحَقِّ ، فَاحْذَرِ أَنْ تُدَكِّرَكَ هَذِهِ الْأَلْسُنُ بِسُوءٍ أَوْ تَوَقَّعَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْأَقْلَامُ بِقَبِيحٍ